تكنولوجيا الاتصال ومستقبل الإعلام الإسلامي

أ.د/ عبد العزيز شرف
أستاذ الإعلام ورئيس القسم
الأدبي بجريدة الأهرام - القاهرة -

ليس من قبيل المصادفة أن تجيء كلمة "الإعلام" في اللغة العربية من مادة "علم"؛ وأن تشترك مع "العلم" في جذرها؛ وأن تتفق معه في فروعها وأغصانها؛ ذلك أن "العلم": نقيض الجهل؛ وعلمه العلم وأعلمه إياه فتعلمه. وفرّق "سيبويه" بينهما فقال: علمت كأذنت؛ وأعلمت كآذنت، وعلمته الشيء فتعلم؛ وليس التشديد هنا للتكثير. وقال ابن السكيت: تعلمت أن فلانا خارج بمنزله علمت. وتعالمه الجميع أي علموه. وعالمه فعلمه يعلمه بالضم، وعلم بالشيء: شعر. يقال: أما علمت بخبر قدومه أي ما شعرت. ويقال استعلم لي خبر فلان وأعلمنيه. واستعلمني الخبر فأعلمته إياه. وعلم الأمر وتعلمه: أتقنه. ويجوز أن تقول علمت الشيء بمعنى عرفته وخبرته. وعلم الرجل خبره.

ويشير هذا الاتفاق في الجذر اللغوي بين "العلم" و"الإعلام" فيما يشير إلى أمور؛ منها في سياقنا هذا:

* **أولاً:** أن استخدام كلمة الإعلام في اللغة العربية في مقابل المصطلحات الحديثة استخدام صائب؛ يشير إلى الوظيفة الأصلية التي ينبع منها "الإعلام" في التصور الإسلامي. فالمصطلح الحديث يسعى إلى تنقية جوهر "الإعلام"؛ بهدف تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة من خلال عرض فني يساعد الناس على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية جماهير وميولهم واتجاهاتهم. ومعنى ذلك أن الغاية

الإعلامية الأساسية في المصطلح الحديث هي تيسير عملية الإقناع عن طريق عرض المعلومات والحقائق والأرقام والإحصاءات ونحو ذلك.

فالإعلام تعبير موضوعي وليس ذاتيا من جانب الإعلامي سواء أكان صحفيا أم إذاعيا أم سينمائيا أم تليفزيونيا. بينما تلجأ الدعاية إلى التحريف والتزييف والتلوين من أجل أداء أغراضها الخاصة. ولذلك يفترض العلماء أن الإعلام ينبغي أن يقوم على الوضوح والصراحة ودقة الأخبار مع ذكر مصادرها؛ كما يشترط الالتزام بمعايير الصدق والأمانة. فالإعلام - تأسيسا على هذا الفهم - يتوسّل بوسائل الاتصال؛ ويوظف التكنولوجيا الاتصالية - من أجل عرض وتقديم ونشر أكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة التي يمكن التثبت من صحتها أو دقتها بالنسبة للمصدر الذي تنبع منه أو تنتسب إليه. وبقدر ما في الإعلام من حقائق صحيحة ومعلومات دقيقة منبثقة من مصادر أمينة؛ بقدر ما يكون هذا الإعلام سليماً قويا.

والإعلام يخاطب العقول لا الغرائز؛ وكذلك يؤدي وظائف منها: التثقيف والتنشئة الاجتماعية، والتوجيه والإرشاد؛ والتفسير والتقويم كما يؤدي وظيف الإعلام بالأخبار والمعلومات الصادقة التي تنساب إلى عقول الناس وترفع من مستواهم، وتُنشد تعاونهم من أجل المصلحة العامة.

وإذا كان لفظ "الإعلام" قد شاع في هذه الأيام، كنتاج لحضارة العصر، وإمكاناته الاتصالية، فإن ذلك لا يعني أن الإعلام كظاهرة اجتماعية فن مستحدث، وإنما يضرب بجذوره في جميع مراحل التطور الإنساني متطوراً معها، مجدداً في وسائله، محققاً لأهدافه النابعة من احتياجات الجماعات البشرية، فما يزال الرجال والنساء - كما يقول ولبور شرام - يحيون أصدقاءهم في الشارع، ولكن أصبح من المألوف أيضاً أن يحيّي المرء صديقاً بعيداً له بالبريد أو التلغراف، أو التليفون، وأن يوجه زعيم وطني تحياته للسكان جميعاً عن طريق الإذاعة... ما يزال الناس يعقدون الصفقات ويبيعون ويشترون ولكن نشأ حول "نظام المقايضة" القديم إعلام ضخم معقد للشراء

والبيع والاقتراض وللإعلان ولنقل تقارير الأسعار. كذلك تحول الكثير من مسؤولية الترفيه العام الذي كان مجاله الغناء الشعبي والتقليدي والأسطورة ورقص القبيلة إلى الأجهزة الجماهيرية وغيرها من المستحدثات المظهرية.

وإذا كانت الوظيفة هي التي تخلق العضو - كما يؤثر العلماء القول بذلك - فإن الوظائف الإعلامية هي التي خلقت ما تؤثر تسميته "بالأجناس الإعلامية" حيث لم تتغير هذه الوظائف على مدى القرون فيما بين الثقافة القبلية والحضارة العصرية، حيث يقوم النظام الاجتماعي بأربع وظائف عريضة.. وقد حدد "هارولد لازويل" ثلاثاً منها وهي: مراقبة البيئة، وربط فئات المجتمع في استجابتها للبيئة، ونقل التراث الاجتماعي... وقد استخدم "ولبور شرام" اصطلاحات أبط وهي: الحارس، والمنبر، والمعلم... ويضيف شرام وغيره وظيفة رابعة وهي: الحارس، والمنبر، والمعلم... ويضيف شرام وغيره وظيفة رابعة وهي: الترفيه.

ولكل مجتمع - كما يقول ريفرز وزميلاه في كتاب "وسائل الإعلام والمجتمع الحديث" - حراسه الذين يزودون غيرهم من الأعضاء بالمعلومات عن الأحداث وتفسيرها، فهم يمسحون البيئة ويرسلون تقاريرهم عن التهديدات والمخاطر، وكذلك عن الأنباء الطيبة، والفرص المتاحة. وقد يكون الحارس شيخاً في قبيلة يشكو من أن الجيل الشاب يظهر احتراماً متضائلا للطقوس، أو مراسلاً أجنبياً يبعث بتقارير عن التوتر السياسي في الشرق الأوسط.. ولتقرير ما ينبغي عمله إزاء التهديدات أو الفرص، يستخدم المجتمع نظامه الاتصالي كمنبر... ولما كانت أساليبه في تغير دائم، فإنه يحتاج إلى طريقة للوصول إلى اتفاق عما ستكون عليه هذه التغييرات... وبدون اتفاق قد يصاب النظام الاجتماعي بالانحلال... وبالرغم من أن المجتمع يستخدم نظامه الإعلامي كمعلم لنقل التراث الاجتماعي من جيل إلى الجيل التالي.

ويقارن النظام الإعلامي بمجلس القبيلة أو اجتماع المدينة في مهمته للربط بين الاستجابات للبيئة، كذلك يمكن مقارنتها بالمؤسسات في البيت

والمدرسة والمسجد في مهمتها كمعلم... ويذهب "تشارلس رايت" الأستاذ بجامعة بنسلفانيا إلى أن الوظيفة الأخرى للترفيه عن طريق وسائل الإعلام هي تزويد الفرد بالراحة التي تساعد على الاستمرار في التعرض للأخبار والتفسير والتوجيه، وهي لازمة له لكي يحيا في العالم الحديث. ويذهب "جاري ستايز" في دراسته للتليفزيون إلى أن الترفيه وظيفة جوهرية لا للتسلية فقط وإنما لتقديم مواقف تعليمية سائغة كذلك.

الإعلام و "التقنية" الاتصالية:

وكلمة "التقنية" في اللغة العربية يراد بها بحكم الجزئين المكونين لكلمة "تكنولوجيا" Techno logy ذلك العلم التطبيقي الصناعي الذي يتم تحصيله بواسطة الأجهزة العلمية. وهي تدل في الأصل على مختلف طرائق المعالجة العلمية في الفنون عموماً، وفي البحث العلمي على وجه الخصوص. وقد شاع استخدامها حديثاً لتجسد عملية تحويل القوانين والاكتشافات العلمية التي تحكم العالم الطبيعي والاجتماعي إلى منجزات واقعية يسخرها الإنسان لخدمة أغراضه ومصالحه [1].

وتوظيف التقنية لأغراض الاتصال في العالم المعاصر يسلمنا إلى دراسة طبيعة العلاقة المتبادلة بين هذه التقنيات واستخداماتها الاتصالية، وذلك لأن التقنية الحديثة قد قدمت لمجالات الاتصال من الأدوات والوسائل ذات الكفاءة العالية ما أتاح الفرصة للحصول على بيانات ونتائج فائقة الدقة. «وساعد على كشف وقائع ونظريات جديدة في مختلف مجالات النشاط الإنساني وكل هذا على حد تعبير د/ أحمد فؤاد باشا من شأنه أن يؤدي في النهاية إلى نقطة حرجة يصعب عندها تفسير المعطيات العلمية الجديدة باستخدام المفاهيم والنظريات القديمة».

ويتوقع المحللون لنتائج الأبحاث الجارية خلال العقدين الأخيرين، وخاصة في مجال الفيزياء والفلك والرياضيات؛ أننا على موعد مع ثورة علمية هائلة

يتهاوى تحت معاولها أساس الكثير من النظريات والمذاهب الوضعية السائدة حاليا، ويطرأ بسببها تحول كبير على وعي الإنسان وتصوره لنفسه وللعالم[2].

من هنا ـ كما يقول عالمنا الإسلامي د/ أحمد فؤاد باشا؛ تظهر أهمية الدعوة إلى صياغة نظرية عامة للعلم والتقنية في إطار من التصور الإسلامي السديد؛ لكي تواكب حركة الصحوة المعاصرة وتكون إحدى مقوماتها الأساسية؛ انطلاقا من حقيقة أن المنهج العلمي الإسلامي سيكون هو الأقدر على تهيئة الإنسان لكل ما يمكن أن تسفر عنه الثورة العلمية والتقنية المرتقبة في المستقبل البعيد أو القريب.

وإذا كانت موضوعات هذه القضية كثيرة ومتشعبة، فيما يرى، وتحتاج إلى جهود المخلصين من ذوي التخصصات المختلفة لإجراء دراسات تفصيلية وفق منهج علمي تحليلي مقارن، فإن هذا المؤتمر النبيل، حين يتيح لنا دراسة الإعلام والتكنولوجيا الاتصالية، يتيح لنا تقديم تصور عام للتوظيف الأمثل للوسائل التقنية من أجل إعلام فعال.

فوسائل الإعلام وما توفره التكنولوجيا الحديثة، إذن، تمد من نطاق الوظائف الإعلامية التي لم تتغير على مدى القرون، فالكتابة ـ مثلا ـ نمت حتى يحتفظ المجتمع برصيده من المعرفة فلا يضيع في اعتماده على الاتصالات الشخصية أو على ذاكرة الشيوخ. ونما فن الطباعة حتى تضاعف الآلة ما يكتب الإنسان أرخص وأسرع مما يستطيع الإنسان نفسه أن يفعل... حول هذه الآلة نهضت كل مؤسسات الطباعة والنشر والمدارس العامة.. والدور الذي قامت به الكتابة والطباعة في سبيل البحث عن الحقيقة، كما يذهب إلى ذلك فندريس ـ وهما كما هي الحال في اللغة ـ خليط من اختراعات عديدة قد حولت وتنوقلت وطبعت بالطابع الاجتماعي. فالكتابة قد خلقت أشياء متكلمة، والطباعة أكثرت من عددها إلى غير ما حد وخلدتها... وهكذا أمكن للفكر أن ينتصر على المكان والزمان والموت، ولكن كثيراً ما ينتهي التفكير المجدد إلى سراب وإلى الابتعاد عن الجادة... فالفكر في هذه الحالة يجول في عالم يرجع إلى عهد الإنسان

البدائي... عالم الأفكار الذي هو أيضاً عالم الألفاظ.

وطورت الآلات فيما بعد حتى لا يتقيد ما يمكن أن يراه الإنسان بالمكان أو الزمان... يقول شرام: «في أول الأمر جاءت آلة التصوير (الكاميرا) وأجهزة العرض، ثم جاء طبع الصور ثم استديوهات السينما والتوزيع ودور العرض... كذلك اخترعت الآلات التي تجعل الإنسان يسمع (بفتح الياء) ويسمع (بضم الياء) على بعد مسافات هائلة وحول ذلك قامت شبكات التليفون الكبرى والتسجيل الصوتي والراديو... ولما انضمت آلات الاستماع إلى آلات المشاهدة وجد الأساس للأفلام الصوتية والتليفزيون...» وبتعبير شرام: «اكتشف المجتمع فيما بين أيام القبيلة وعهد الحضارة العصرية كيف يشارك في الإعلام وكيف يخزنه متخطياً بذلك المكان والزمان ليصون التاريخ من الضياع وليزيد كم المجتمع الفعال من العشرات إلى الملايين».

ويعتقد "هارولد آدمز آينس" وهو اقتصادي كندي، أصبح من علماء الإعلام، أن تكنولوجيا الاتصال تعتبر قطب الرحى بالنسبة لأي تكنولوجيا أخرى... وقد أشار "جيمس كاري" الأستاذ بجامعة إلينوي إلى ذلك بقوله: «يذهب اينس إلى القول بأن وسائل الإعلام الموجودة في المجتمع تؤثر تأثيراً قوياً في أشكال التنظيم الاجتماعي للمكنة... وهكذا تؤثر وسائل الإعلام في أنواع التجمعات الإنسانية التي يمكن أن تنشأ في أي حقبة... ولما كانت هذه الأشكال من التجمع ليست مستقلة عن معرفة الناس بأنفسهم وبغيرهم، فالواقع أن الشعور مبني على هذه التجمعات، فإن التحكم في هذه الاتصالات يتضمن التحكم في كل الشعور والتنظيم الاجتماعي.. ويذهب "اينس" إلى مراحل متنوعة من الحضارة الغربية يمكن تمييزها بانتشار وسيلة الآلة من وسائل الإعلام.

ويذكر "ريفرز" وزميلاه أن المسيحية قد استغلت مزايا الجلد للمحافظة على النظام القديم.. وذلك لأن متانة هذا الجلد منحت الكنيسة وسيلة للحفاظ على نواة للأفكار عبر قرون عدة، كما أن ندرة هذا الجلد حصرت رعاية هذه

الأفكار في قليل من الناس لفترة طويلة بقيت فيها الكنيسة بمأمن نسبي عن التحدي أو الانشقاق. ويذهب "ريفرز" وزميلاه كذلك إلى أن الآلة الصناعية واستخدام قوة البخار في الطباعة أثرت تأثيراً في وصول الطبقة الوسطى إلى السلطة وظهور الديمقراطيات الحالية في غرب أوروبا وأمريكا... بل لم يكن في الإمكان قيام الدول المعاصرة من المجتمع، ديمقراطية كانت أو شمولية، لولا المطابع السريعة ووسائل الإعلام الإلكترونية للاتصال بالأعداد الكبيرة من الناس في مساحات شاسعة.

لقد أوضح "كاري" أن اينس يرى أن تكنولوجيا الإعلام تؤثر تأثيراً قوياً في التنظيم الاجتماعي والثقافة، وفي حين أن تلميذه ماكلوهان - وهو كندي أيضاً - يرى أن تأثيرها الأهم في الفهم الحسي والفكر...

يعتقد "ماكلوهان" أن النتائج الفردية والاجتماعية لأية وسيلة من الوسائل تتوقف على تغير المقياس الذي تحدثه كل تكنولوجيا جديدة وكل امتداد لأنفسنا في حياتنا.

الحواس ووسائل الإعلام:

ويتفق ماكلوهان مع اينس في أن اكتشاف الإنسان للحروف المتحركة لم يكن مجرد إيجاد أداة جديدة للاتصال الفعال جماهيرياً. ولكن الإنسان قد غيّر جوهر نفسه... ويبني ماكلوهان على ذلك ما يذهب إليه من أنه قبل اختراع (الألف باء) كانت الأذن هي المسيطرة على الاتصال، فما يسمع يصدّق. ثم جاءت وسيلة جديدة من الألف باء الصوتية وبداية القراءة مما أدى إلى التحوّل إلى توازن حي جديد يتمركز حول العين... وقد تطلب اختراع الحروف المتحركة وانتشار التعليم أن يبدأ الإنسان في الإدراك بشكل خط متصل يتناول الشيء بعد الآخر في تعاقب بطيء... وعندما ألغى عصر الكهرباء الزمان والمكان، حلت وسائل الإعلام الجديدة وخاصة التليفزيون الذي يجمع بين الحواس كافة في وقت واحد - محل الطباعة - ومن مثل هذه المعتقدات اشتق ماكلوهان عبارته الشهيرة "الوسيلة هي الرسالة" وهي تعني ببساطة أن المجتمع يتشكل عن

طريق وسائل الإعلام التي يتصل بها الناس أكثر مما يتشكل بمضمون الاتصال. إن الطباعة نفسها أهم من أي شيء، أو كل شيء نشرته المطبعة والتليفزيون أهم من أي شيء أو كل شيء يعرض على شاشة التليفزيون.

وهناك بعض المفكرين الذين لا يذهبون إلى نهاية الشوط الذي يذهبه "اينس وماكلوهان" في إسناء ذلك التأثير الكبير إلى وسائل الإعلام، ومع ذلك فهم يعتبرون وسائل الإعلام أداة قوية للضبط الاجتماعي وذراعاً للنظام الحاكم في المجتمع... وفي حكم أنفسهم بالفكر السليم والضمير الفردي... وإن كانت النظرية الحديثة لا تنفي بالضرورة الأهمية التقليدية للصحافة في تنوير الجماهير.

وما زالت التقنيات الاتصالية الحديثة مصادر ذات مضامين خافية على بعض الناس؛ ولم يدرس تأثيرها على المستويين العام والخاص. ونعني بذلك: التسجيلات الصوتية والفيديو والبث المباشر بالأقمار الصناعية؛ والحاسوب، والإنترنت، وهي ليست بدائل للتقنيات المسموعة والمرئية والمقروءة. ولكن خطرها أعمق وأشد أثرا في حياة الناس. ذلك أنها تخضع عادة للانتقاء الشخصي؛ وقد تختلف مادتها المختارة مع قيم المجتمع ومثله وتقاليده، وربما تفلت دون رقابة أو كبح لجماحها.

وتقتضي طبيعة موضوعنا هذا عن الإعلام وتكنولوجيا الاتصال؛ تضافر الرؤى؛ من أجل تحقيق التكامل لإنجاز إعلام فعال في نهاية الأمر. الأمر الذي يتحقق من خلال: المهندس والعالم الاجتماعي، والإعلامي، والعالم الفيزيقي، والمشتغل بالعلوم الإنسانية، والدارس الأكاديمي، والمبدع الإعلامي، بنفس القدر الذي تلقاه هذه الأهمية لدى المفكر الإسلامي، لأن هذا الموضوع قاسم مشترك بينهم جميعا.

فالمهندس يدرك أن نشاطه المهني يمس جميع عناصر الإعلام الفعال مسا وثيقاً، ويضفي عليها قيما جمالية وثقافية، وأيضاً عناصر تكنولوجية.

وكذلك ينبغي أن يدرك العلماء الإعلاميون والمشتغلون بالعلوم الإنسانية التأثيرات التكنولوجية في المجتمع والفرد.

وكما تغير الاتجاه العام نحو العمل، تغير الاتجاه السائد نحو التكنولوجيا وأفادت الإنجازات العظيمة للثورة الصناعية، التي أمدت الإنسان بحاجته المادية وهيأت للمخلوقات وسائل الراحة في تنمية الإدراك بدور التكنولوجيا في الحضارة.

وعلى النقيض من ذلك لم ينتج عن الاستخدام الواسع لمنتجات التكنولوجيا والعرفان بقدرها مزيد من التقدير للمهندس وهو الإنسان المسؤول عن هذا التقدم.

وعلى الرغم من حقيقة أن حضارتنا أصبحت تعتمد كلية على التكنولوجيا، وأن منتجات التطور التكنولوجي تستخدم وتنال الإعجاب وأن الهندسة أصبحت ميدانا يزداد تعقيدا ويتطلب تعليما متخصصاً، فإن المهندس - حتى اليوم - لم يتلق تقديراً كافيا لتدريبه وإسهامه في المجتمع. ولذلك نوصي هنا بالاهتمام بتحقيق التكامل بين التعليم الهندسي والإعلامي؛ ولا سيما في تخصص الاتصالات بكليات الهندسة، وأن يتم تدريس مقرر إعلامي في أقسام الاتصالات بكليات الهندسة في العالم الإسلامي، وأن يتم في المقابل تدريس مقرر هندسي في كليات الإعلام بالجامعات الإسلامية، إثراء للعلم، وطبيعته، وإنجاز آفاق أرحب يشترك فيها المبدع الإعلامي، والمبدع الهندسي. وهما يشتركان معا في عقيدة واحدة؛ تدفعهما إلى إنجاز إعلام إسلامي فعال في نهاية الأمر. ولا سيما أن عالم الثقافة إلى وقت قريب نسبيا كان يركز اهتمامه على العلوم الإنسانية؛ والكلاسيكيات منها بصفة خاصة، استمرارا مع اتجاه أفلاطون في تفضيل الأفكار؛ وتشويه سمعة التكنولوجيا لكونها "مادية"!.

على أن إغفال دراسة التكنولوجيا لم يكن إغفالا مطلقا. إذ كانت منجزات الدراسة والبحوث الحديثة في النهاية تجعل الباحث يبدي اهتماما قاطعا

بالدور الذي تضطلع به التكنولوجيا. إن الفسيولوجيا الحديثة والسيكولوجيا والبيولوجيا المتطورة والأنثروبولوجيا أتحدت جميعا لتجعل العالم الباحث يدرك أن الإنسان العاقل homo sapiens لا يمكن تمييزه عن الإنسان الصانع homo faber وحقا لقد تأكد تدريجيا أن الإنسان لم يكن يستطيع أن يصبح مفكرا لو لم يكن في الوقت نفسه صانعا. وبينما وفق التمييز الأفلاطوني الذي ينطوي على مغالطة بين العقل واليد مسنده، أصبحت دراسة الإبداع التكنولوجي للإنسان لا تقل احتراما عن دراسة إبداعه الفني أو الأدبي. وطور كثير من الدارسين الافتراض بأن غرائز الإنسان الإبداعية ترجع كلها إلى أصل واحد بصرف النظر عن المجال الذي تمارسه فيه. وبمعنى آخر فإن الدراسة البحثية بدأت أخيرا في استيعاب متضمنات الفسيولوجيا البشرية والسيكولوجيا الإنسانية تماما كما استوعب العامة متضمنات الديمقراطية الاجتماعية وتأكيدها على شرف العمل.

ولذلك نوصي:

(بإصدار دورية علمية للإعلام وتكنولوجيا الاتصال يشترك في تحريرها علماء الإعلام وهندسة الاتصال وتكنولوجيا الاتصال، تقدم حوارا فعالا للوصول إلى إعلام فعال تتكامل في أدائه، الوسيلة + الرسالة).

إننا نريد الإعلامي العارف بالتكنولوجيا بقدر ما نريد المهندس المتمرس في أصول الإعلام ذلك أن النقص في الخلفية الفنية يجعل المثقفين في هذه المجالات يغفلون في الغالب علاقات على قدر كبير من الأهمية بين التطورات الاجتماعية والثقافية وبين التغير التكنولوجي، وإسهامات هؤلاء المثقفين جديرة بإبراز أن التكنولوجيا لا تدرس من فراغ وأن تاريخها يجب أن يتضمن كذلك العناصر الاجتماعية والثقافية في الحضارة.

وهناك عقبة في دراسة التكنولوجيا ودورها في الإعلام، وهي ليست العقبة الأفلاطونية المتمثلة في ازدواجية الأفكار والأشياء؛ والعقل واليد بقدر

ما تتمثل في نقص في المعرفة الأساسية فيما يتعلق بالمنهج الذي اتخذه التطور التكنولوجي نفسه. **(إن الأنثروبولوجيين، وعلماء الإعلام والاجتماع والاقتصاد، والمؤرخين والمشتغلين بالعلوم الإنسانية والطبيعية، كل هؤلاء الذين كانوا مهتمين بالعلاقات بين التكنولوجيا والعناصر الأخرى للمجتمع والرأي العام والثقافة وجدوا أنفسهم مضطرين إلى أن يدركوا أن دراساتهم لم يكن لها أساس راسخ نظرا للنقص في المعرفة الأساسية للتطور** التكنولوجي ولم يكن هناك معرفة كافية بالوسائل والأساليب **الفنية الفعلية التي كونت التكنولوجيا. ولم يكن من الممكن إطلاق تعميمات سارية، فيما يتعلق بالدفع الجماعي للتكنولوجيا أو بعلاقاتها بعمليات التغيير الاجتماعي أو بتأثيرها في التنظيم الصناعي، أو بدورها في ازدهار الحضارة أو أفولها، أو فيما يتعلق بأي من مجالات أخرى عديدة للتقصي والبحث دون معرفة دقيقة ومتصلة لتاريخ التكنولوجيا في حد ذاته).**

وفي هذا السياق نوصي: **(بتأسيس جمعية علمية باسم "الإعلام الإسلامي وتكنولوجيا الاتصال" تجمع علماء الإعلام، والهندسة والاتصالات، والمفكرين الإسلاميين وتصدر عنها الدورية المشار إليها).**

(مازلنا لا نستطيع أن نأمل في فهم حضارتنا؟ أو حتى فهم التكنولوجيا نفسها بدون أن نلم بالعلاقات المتشعبة والمتداخلة بين التكنولوجيا والمجتمع، وبمعنى آخر فإننا نحتاج إلى مدخل متشعب إذا كنا راغبين في دراسة الإعلام الفعال وتكنولوجيا الاتصالات. وهذا المدخل المتعدد الوجوه يفسر الميزة لهذا الملتقى العلمي) وتقرر جمعية التاريخ والتكنولوجيا في أمريكا نتيجة استقصاء (أن الكتاب الشعبي عن تاريخ التكنولوجيا ينحو إلى إفراغ الموضوع في قالب درامي زائف فهو يضفي على (العبقرية) إدراكا رومانسيا وهو يزيف

العلاقة بين التقدم التكنولوجي والنظام الاقتصادي كما أنه غير دقيق في حقائقه في الغالب؟ وينتهي بأن يفترض بدون ضوابط أن الثقافة الصناعية الحالية هي أفضل ثقافة في هذا العالم الأفضل من العوامل الأخرى الممكنة)!

وفي هذا السياق نوصي:

(بإيفاد بعثات تدريبية منتظمة من وسائل الإعلام الإسلامية إلى الوسائل الإعلامية في الدول الغربية خاصة، للتدرب على أحدث وسائل الإخراج والإعداد للبرامج الفعالة، ثم نوظفها بعد العودة لأداء المضمون الإسلامي) وهو الأمر الذي يجب أن تقوم على إنجازه في الأصل دراسات الإعلام في جامعاتنا الإسلامية من خلال إعداد الإعلامي إعدادا متكاملا. وعلى حد قول "بيتر دروكر" بدون دراسة العمل وفهمه كيف يتأتى لنا أن نأمل في فهم (التكنولوجيا)، إن الطالب والرجل العادي كليهما يجب أن يكتسب النظرة التاريخية وأن يتعلم تأثير الآلة في الأحداث وأن يقيم معنى الثروات التكنولوجية وأن يدرك أدوات التكنولوجيا في المجتمع، وأن يصبح على دراية بتفاعلاتها مع موضوعات مثل الفن والقيم والعلاقات الدولية. وقد كتب "سير فيلب سيدني" أن الغرض من الشعر هو التعليم والإقناع وإننا ليحدونا الأمل في أن يؤدي الإعلام في عالمنا الإسلامي هذا الدور المماثل بطريقة فعالة. ذلك أنه إعلام وظيفي بطبيعة الحال.

الأمر الذي يقتضي توظيف الوسائل التقليدية والمستجدة في عالم الاتصال بين أنحاء العالم، وإنشاء قناة فضائية إسلامية تبث برامجها وموادها باللغتين الإنجليزية والفرنسية، إلى جانب العربية. ومواجهة الغزو الثقافي عن طريق المضمون عبر القنوات المحلية في البلاد الإسلامية، بهدف تحصين المتلقي ضد أي غزو فضائي أو غير فضائي من قنوات الاتصال والإعلام وتأكيد الذات الثقافية في الأمة الإسلامية والنهوض بالإعلام الإسلامي على الصعيدين المحلي والدولي.

* **ثانيا:** أن الصلة بين العلم والإعلام صلة تنبع من مكانة الإعلام والعلم معا في التصور الإسلامي على النحو الذي يضع الأمور في نصابها الصحيح، حين ننظر إلى توظيف التكنولوجيا الاتصالية في الإعلام الغربي ثم إلى توظيف التكنولوجيا نفسها في الإعلام الإسلامي.

ذلك أن الإعلام الغربي، يوظف جميع ما يصل إليه العلم في "معزل عن روح الإنسان من تيسيرات للحياة المادية ومن رفاهيات حضارية [3]. "الأمر الذي يفسر لنا حقيقة ما تعانيه هذه الحضارة وما نعنيه بغزوها الفكري المرفوض. في حين يقدم التصور الإسلامي نظاما إعلاميا عالميا، ينبع من طبيعته العالمية في توظيف ثمار العلم والمعرفة والتقدم لإصلاح حياة البشر، ويسمح للإنسانية بأن تحقق غاية وجودها الإنساني كما أرادها "خالقها العظيم.. وأن تستخدم العقل والعلم والتجربة استخداما آخر يتناسق مع احتياجاتها الحقيقية، ومع مقتضيات فطرتها لأصلية" [4] ولنبدأ بأنفسنا.

ولنبدأ بإعلامنا الإسلامي.

ولنقدم النموذج التطبيقي الفعال في وسائل الإعلام والاتصال بعالمنا الإسلامي موظفين ثمار العلم، والتكنولوجيا من أجل بناء الشخصية المسلمة وتجديد ذاتها أولا، ثم حمايتها من مصادر الغزو الفكري والتلوث الإعلامي الوافد ثانيا، من خلال ما يمكن تسميته بـ "تحصين المتلقي" نفسه إفادة من التوظيف الفعال لتكنولوجيا الاتصال، في الإعلام الإسلامي، الذي يصدر عن "منهج" يظل «الروح الإيماني مهيمنا فيه على المعرفة العلمية ولا يطلب وقف تقدم المعرفة والعلم بحجة أنها بذاتها خطرة على الإيمان الديني!» [5] ذلك أن بعض الناس يظن «أن هيمنة المنهج الإيماني على الحياة من شأنه طرد العلوم المادية ونتائجها الحضارية من الحياة! وهو - على تعبير الأستاذ سيد قطب - "وهم ساذج - على الرغم من أنه وهم كبير -! بل وهم مضحك! ولكنه مع الأسف - يرتكن في الغرب وفي التاريخ الحضاري له، على واقع تاريخي طويل، حتى ليحتاج من "مستر دالاس" إلى ذلك الفصل المطول في كتابه: [حرب أم سلام]..

فصل: [حاجاتنا الروحية] والإسلام بالذات - كان هو الإعلان الشامل لحرية العقل البشري تجاه الكون المادي، وقوانينه، وقواه ومدخراته... وكان الإيذان العام بانطلاق هذا العقل فيعمل ويبدع في ذلك الملك العريض الذي استخلفه ربه فيه وكانت هذه إحدى الحقائق التي تضمنها التصور الإسلامي عن حقيقة علاقة الخلق بالخالق، ومركز الإنسان في هذا الكون وحدود اختصاصاته» [6] هذا التصور الإسلامي هو الذي ينظر إلى الإعلام على أنه ليس وسيلة من وسائل العبث أو اللهو، أو الإسفاف باسم الترفيه والتسلية، كما ينظر إلى هذا الإعلام على أنه مبرأ من الدعاية واستبداد الكلمات بعقول الناس لأغراض دعائية تستبيح كل شيء في سبيل القوة والجبروت والاستبداد وإنما «ينظر إلى الإعلام على أنه يخاطب مخلوقا ركب فيه قوى العلم والإدراك وآلات العمل والإنتاج، وسخر له الكون في أرضه وسمائه، ومائه وهوائه لحكمة سامية تعبر عن جلال الله وجماله وهي أن يكون هذا الإنسان خليفة في الأرض، يعمرها ويعمل على إصلاحها، واتساع عمرانها وإظهار أسرار الله فيها وإقرار الخير والسعادة في نواحيها. وبذلك تكون مظهرا لرحمة الله بعباده وآية من آيات قدرته وحكمته وقد أرشد - سبحانه - إلى هذه الحكمة في كثير من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى وهو يحدث عن مبدأ خلق الإنسان: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم مالا تعلمون، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾** [7].

فتجلت للملائكة حكمة استخلاف الإنسان في الأرض واعترفوا له بالمكانة التي أعدت له في هذه الحياة ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾** [8] ومن ذلك قوله تعالى:

﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾[9] وقوله: **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾**[10]. وإذا كانت هذه هي مهمة الإنسان في الحياة وهي حكمة خلقه، وحكمة «الإنعام عليه بقوى العلم والعمل، وحكمة تسخير الكون وإخضاعه له في التفكير والتصريف، فإنه - كما يقول الإمام الشيخ محمود شلتوت - لا سبيل إلى قيام الإنسان بهذه المهمة وتحقيق تلك الحكم إلا إذا تحصن بالعلم ليعرف الخير من الشر، والنافع من الضار، والمعمر من المخرب، وتحصن كذلك بالصحة ليكمل عقله ويسلم تدبيره وتتصل جهوده وليس فيما نعلم مقوضا لأصل السعادة، وقاضيا على الهناءة، ومفككا لعرى التعاون ومضيعا للعزة والسلطان مثل الجهل والمرض» ومن هنا يعنى الإسلام عناية كاملة بالإرشاد إلى الوسائل التي تطهر المجتمع من الجهل، والتي تطهره من المرض فهو قد حارب الجهل وتتبعه في كل وكر من أوكاره، وفي كل لون من ألوانه حارب جهل الشرك بالتوحيد وبث في النفس والآفاق دلائله، ولفت الإنسان إليها وحثه على النظر والتفكير فيها ليؤمن بأن العظمة التي يخضع لها ليس لأحد سواه فلا تعترضه في طريق الكمال ما ينسجه الإنسان حوله من صور العظمة الزائفة... حارب جهالة التقليد وأنكر على الإنسان أن يسلم عقله لغيره، وأن يقف في عقائده ومعارفه ووسائل الحياة عند ما خلفه الآباء والأجداد من الأوهام والخرافات.. حارب جهالة الأمية وأوحى بتعلم القراءة والكتابة ورفع من شأن التعلم، وحسبنا في ذلك أن يكون أول نداء إلهي يفتح به الله تعالى باسم الربوبية وحيه إلى نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾** يأمر جل شأنه بالقراءة، والقراءة طريق العلم والإعلام، ثم يرشد إلى الاستعانة عليها باسم "الرب" مفيض التربية ووسائلها على جميع الخلق، فيشعر الإنسان بعزة شأنها ورفعة قدرها وإنها من الشؤون العظمى ذات البال والخطر، ثم يذكر خلقه وتكوينه في هذا المقام ويردفه بنعمة العلم:

﴿الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾

وفي ذلك يقول الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - «وبذلك يسوي الله تعالى بين نعمة الخلق والإيجاد، ونعمة العلم ويكون ذلك إيحاء بأن المخلوق الجاهل لا اعتداد بوجوده في هذه الحياة تنويهاً بشأن العلم ومكانته في العلم والمعرفة، يقسم به الله تعالى في معرض تبرئة الرسول عليه الصلاة والسلام من أفدح التهم الباطلة التي ألصقها القوم به عليه الصلاة والسلام:

﴿ن، والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ [11].

وكما يطلب القراءة على الإطلاق دون تقييد بمعلوم مخصوص أو منظور مخصوص: **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعملون﴾** [12] ويرشد هذا الإطلاق إلى أن "العلم" في نظر القرآن الكريم ليس خاصا بعلم الشرائع والأحكام من حلال وحرام فحسب، وإنما العلم في نظره هو كل إدراك يفيد الإنسان توفيقا في القيام بمهمته العظمى التي ألقيت على كاهله منذ قدر خلقه وجعله خليفة في الأرض، وهي عمارتها واستخراج كنوزها وإظهار أسرار الله فيها... وقد جاء الإيحاء بهذا كله واضحا جليا في القرآن الكريم وبه كان العلم - بمعناه العام الشامل - العنصر الأول من عناصر الحياة في نظر الإسلام «.. وبه أيضا كان الإعلام - بمعناه العام الشامل أيضا إعلاما بمناقب الإسلام» على حد تعبير العامري في كتابه الموسوم بهذا المعنى: الإعلام بمناقب الإسلام. وقد أدرك المسلمون الأولون إيحاء القرآن الكريم في كل ذلك، فأدركوا قيمة العلم، والإعلام كما أدركته ضرورة كليهما في سعادة الأمم والأفراد: كانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب فجدوا في محو أميتهم بكل الوسائل حتى أطلقوا سراح الأسير إذا هو علم عددا من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وجعلوا تعليم القرآن مهرا في الزواج، وأطلقوا لأنفسهم النظر في الكائنات، فأدركوا منها ما يسعدهم في الحياة، ويجعلهم أئمة يهدون بأمر الله. وأصبح الإعلام - في التصور الإسلامي - سبيلا إلى الخير، ودرءا للشر حتى تكون العزة (لله ولرسوله وللمؤمنين) ومن ثم ازدهرت في ظل الإسلام حضارة كاملة بكل مقوماتها الإبداعية التي كانت تتيحها لها الأدوات والوسائل في حينها والأدوات والوسائل قابلة دائما

للتطور والترقي - والإسلام يدفع هذا النمو ويقوده، ولكنه يحفظه دائما داخل إطار الفطرة، على حد تعبير الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - ذلك أن الإعلام الإسلامي لا يصطدم بطبيعة الإنسان وخصائصه الثمينة، ولا يحطمها ويكبتها، كما يقرر دكتور كاريل عن الحضارة المعاصرة وما تنضوي عليه من نظم في الحياة والإعلام وغير الإعلام يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - «ولقد كان الإسلام هو الذي أنشأ بطبيعة واقعية منهجية - المنهج التجريبي، الذي انتقل إلى أوروبا من جامعات الأندلس، والذي أقام عليه "روجر بيكون" و"فرانسيس بيكون" - الذي يسمونه افتراء "أبا المنهج التجريبي" - منهجهما كما قرر ذلك "بريفولت" و"دوهرنج" من الكتاب الغربيين أنفسهم [13].

إن الإسلام يكل رسم التصميم الأساسي للحياة البشرية، إلى العلم الكامل الشامل المبرأ من الجهل والقصور والهوى كذلك يكله إلى علم الله - سبحانه - بما أن الله هو الذي أبدع الكون وما فيه، وأبدع قوانينه وطاقاته وأبدع الإنسان وزوده باستعداداته للعمل في مادة هذا الكون العريض... وهو الذي يعلم وحده - كل حقائق الكينونة البشرية وكل حقائق الطبيعة الكونية... فهو وحده - القادر على أن يصنع للإنسان نظام حياة شاملا لحياته الفردية والجماعية، ولحياته في الكون المحيط به.. «وفي الوقت ذاته لا يلغي العقل البشري كما أرادت الكنيسة ذات يوم - هذه الإرادة العظيمة التي وهبها الله للإنسان ليعمل بها ويبدع لا ليلغيها أو يغلها! وفقط يحوطها بالسياج الواقي من الهوى، ومن التهور ومن الخبط في التيه، ومن النكسة والانحدار. ويضع لها المنهج الذي يقومها فلا تميل، ويهديها فلا تضل ويكفل لها حريتها واستقامتها على السواء». وبهذا يظل الإنسان هو سيد المادة بضمانة من المنهج الذي أبدعه له مبدع الإنسان والمادة وبالتصور الذي يشعره بكرامته على الله، كما يشعره بعبوديته لله. وفي الوقت ذاته يشعره بأنه مستخلف في هذا الملك العريض. وتأسيسها على ذلك يتبين لنا أن الإعلام في التصور الإسلامي، هو النظام المنشود للعالم المعاصر، الذي يعاني بدوره من الطغيان المادي، ومحاربته أرفع المقومات الإنسانية في الوقت الذي تتقدم فيه التكنولوجيا،

لتدعم أو تغير ويغدو السؤال الحضاري في هذا السياق هو:

* كيف يمكن توظيف تكنولوجيا الاتصال من أجل إعلام فعال يبني ولا يهدم، يشيد ولا يحطم؟!

وقبل أن نجيب عن هذا السؤال نطرح سؤالا آخر فحواه:

* هل هذه التكنولوجيا تمثل في ذاتها الخير أو الشر؟!

يقول الجنرال "دافيد سارنوف" في كلمة ألقاها بمناسبة منحه درجة علمية شرفية من جامعة نوتردام منذ سنوات: إننا نميل كثيرا إلى اعتبار الأدوات التكنولوجية كبش فداء للأخطاء التي يرتكبها أولئك الذين يستخدمونها.. إن إنجازات العلم الحديث لا يمكن أن تكون - في ذاتها - خيرا أو شرا.. إن طريقة استخدام هذه الإنجازات هي التي تحدد قيمتها..».

وهذا القول صحيح في جملته وتفصيله، حين نضيف إلى "كيفية" الاستخدام، السؤال الغائب في الفلسفة البراجماتية، ونعني به: لماذا نستخدم هذه الإنجازات التكنولوجية؟ والإجابة عندئذ هي التي تحدد قيمتها بالفعل. وهنا ينتفي النقد الساخر الذي صوبه "ماكلوهان" تجاه قول "سارنوف" الذي شرح وجهة نظره في قوله: إن الطباعة، مثلا عملت على نشر كثير من التفاهات، ولكنها عملت أيضا على نشر التوراة وأفكار الأنبياء والفلاسفة في حين يذهب "ماكلوهان" إلى أن أي تكنولوجيا يمكنها أن تفعل أي شيء إلا أن "تضيف" نفسها إلى ما نحن عليه. كما يذهب إلى أن السينما بمحض الإسراع في تحريكها الميكانيكي نقلتنا من عالم التجزئة إلى عالم التكامل والبناء الخلاق.. ورسالة وسيلة السينما هي الانتقال من العلاقات الخطية المتتابعة إلى الشكل الخارجي. وفي المرحلة التالية التي حلت فيها السرعة الكهربية محل التتابع الميكانيكي للسينما، أصبحت خطوط قوة البنيات والوسائل مرئية وواضحة يقول «وقد بدت السينما، وسط ثقافة تعتمد اعتمادا كبيرا على الكلمة المكتوبة والميكنة وكأنها عالم مبهر من الأوهام والأحلام يمكن أن يشترى

بالمال!.. وفي عصر السينما ظهرت التكعيبية في الفن والتي بدورها أعلنت أن الوسيلة ذاتها هي الرسالة الحقيقية»، عندما اكتشفت الوعي اللحظي الشامل.. أليس من الواضح أنه في اللحظة التي استسلم فيها التتابع للآنية، فإن العالم قد أصبح عالم البنية والشمول؟ أليس هذا هو ما حدث في التصوير وفي الشعر وفي ميدان الاتصال؟ إن أجزاء الاهتمامات المتخصصة قد اختفت لتترك مكانها للمجال الشامل، أن الوسيلة هي الرسالة، فكان يبدو أن الرسالة هي "المضمون" عندما كان الناس يتساءلون عما تمثله "لوحة مصورة". ومع ذلك فإنهم لم يفكروا أبدا في أن يتساءلوا عما يمثله "لحن" ما، أو عما يمثله بيت أو ثوب.. ففي مثل هذه الأمور كان الناس يحتفظون ببعض الإحساس بالشمول، وبوحدة الشكل والوظيفة. أما في عصر الكهرباء فإن فكرة وحدة البنية والشمول قد أصبحت غالبة، حتى أن النظرية التربوية قد تبنتها. فبدلا من العمل في علم الحساب على أساس "مسائل" تخصصية، فإن النظرة الكلية الشاملة الآن تتبع خط القوة في مجال الأرقام والتلاميذ الصغار يعملون الآن فكرهم في نظرية الأرقام والمجموعات.

قال الكاردينال "نيومان" عن "نابليون" «إنه كان يعرف القواعد الأساسية للمدفعية».. والواقع أن نابليون قد أعطى كذلك بعض الاهتمام لوسائل أخرى على الأخص للإشارات التلغرافية التي اكتشفها شاب والتي منحته ميزة عظيمة على أعدائه. كما يسجل عليه قوله: إن ثلاث صحف معادية تخيفني أكثر من ألف سونكي. وقد أوضح "دي توكفيل" في مؤلف عن الثورة الفرنسية، كيف أن الكلمة المطبوعة بما أدت إليه من تشبع ثقافي في القرن الثامن عشر قد وحدت الأمة الفرنسية: وأصبح الفرنسي في الشمال، على نفس شاكلة الفرنسي في الجنوب وتغلبت مبادئ الطباعة في التطابق والتتابع والانتظام الخطي، على تعقيدات المجتمع الشفاهي والإقطاعي القديم. وقد كان الذين قادوا الثورة من الطبقة الجديدة التي تتكون من الأدباء والمحامين. «أما في إنجلترا، فقد بلغت القوانين العامة المعتمدة على تقاليد المشافهة القديمة،

والتي يساندها نظام برلماني من العصور الوسطى، درجة من القوة حالت بين الثقافة الجديدة المعتمدة على الطباعة وبين السيطرة الكاملة لفرض عنصري التطابق والاستمرار وكانت النتيجة أنه لم يحدث في التاريخ الإنجليزي أبدا ذلك الحدث البالغ الأهمية. وبالذات أن تسير الثورة الإنجليزية على نفس النهج الذي سارت عليه الثورة الفرنسية. أما بالنسبة للثورة الأمريكية فلم يكن لها نظم قانونية من القرون الوسطى، لتتخلص منها، أو تقتلعها فيما عدا النظام الملكي». ويعتقد الكثيرون - فيما يقول "ماكلوهان" أيضا - إن النظام الرياسي الأمريكي قد أصبح أكثر شخصية وملكية من أي نظام حكم ملكي يمكن أن يكون في أوروبا: «وهذا التعارض - الذي يبرزه دي توكفيل بين إنجلترا وأمريكا - يستند بوضوح إلى واقع الطباعة والحضارة الطباعية من حيث إنهما يمثلان عاملي التماثل والاستمرارية، يقول «إن إنجلترا رفضت هذا المبدأ وتمسكت بالتقاليد القانونية الشفوية والديناميكية وهو ما يعلل عدم الاستمرارية وعدم التوقع اللذين نجدهما في الثقافة الإنجليزية. فلم تتمكن القواعد الأساسية للطباعة من تفسير رسالة الثقافة غير المدونة وأنظمتها... إن أي وسيلة لديها القدرة على فرض مسلماتها الخاصة على من لا يحذرها».

«إن تأثير الوسيلة يقوى ويشتد بإضافة وسيلة أخرى هي (المضمون) إن مضمون الفيلم هو قصة أو مسرحية.. ولكن تأثير الفيلم لا علاقة له بمضمونه.. هكذا يقول ماكلوهان تأسيسا على أن مضمون الكتابة أو الطباعة هو الكلام ومع ذلك قلما يلتفت القارئ إلى المطبوع، أو إلى الكلام». أما المؤرخ "توينبي" فلم ينظر إلى وسائل الاتصال باعتبار أنها قد شكلت التاريخ ولكن مؤلفاته مليئة بالأمثلة التي يمكن أن يستعين بها هؤلاء الذين يهتمون بتكنولوجيا الاتصال. ويعتبر "توينبى" أن أغلب المجتمعات الغربية في عصرنا هذا قد قبلت تكنولوجيا الصناعة، بما تؤدي إليه من نتائج سياسية ولكن «على الصعيد الثقافي لا يوجد اتجاه مقابل مماثل». وإننا نفكر في هؤلاء الناس ذوي الثقافة العالية الغارقين إلى آذانهم في الإعلانات، والذين يؤكد كل واحد منهم

«أنه شخصيا لا يعير الإعلانات أية التفاتة»! فهل صحيح ما يذهب إليه توينبي وماكلوهان حين يذهبان إلى أن «المدخرات الثقافية والروحية التي يمكن للحضارات الشرقية أن تصونها أمام التقنيات الغربية لن تجديها نفعا تأسيسا على أن تأثير التكنولوجيا لا يظهر على مستوى الأفكار والتصورات؟! وأن تأثير التكنولوجيا يغير أبعاء الشعور وأنماط الإدراك شيئا فشيئا، وبدون أن يصادف أية مقاومة ومهما يكن الأمر فإن الفنان الحقيقي هو الذي يستطيع مواجهة التكنولوجيا في شجاعة. ذلك لأنه خبير مدرك للتغييرات التي تحدث في الإدراك الشعوري. ويذهب "ليبلنج" في كتابه عن "الصحافة"؛ إلى أن الإنسان لا يمكن أن يكون حرا إذا كان لا يعرف أين هو ذاهب، حتى ولو كان يحمل بندقية لهذا الغرض. إن كل وسيلة هي سلاح يمكن استخدامه لتوجيه ضربات للآخرين؛ أو لوسائل اتصال أخرى.. ولهذا السبب شهد العصر الحاضر عدة حروب أهلية لم تقف عند حدود عالم الفن أو الترفيه. وقد ذكر الأستاذ ج.ي.نيف في كتابه عن "الحرب والتقدم الإنساني": «أن الحروب الشاملة في أيامنا هذه هي نتيجة لسلسلة من الأخطاء العقلية».

وإذا كانت «القوة الخلاقة لوسائل الاتصال تكمن في الوسائل نفسها» على حد تعبير "ماكلوهان"؛ فإن الوسائل التكنولوجية تظل ـ على هذا الأساس ـ مجرد منتجات أساسية أشبه بالمواد الخام؛ التي تقتضي إحسان تصنيعها لتفي باحتياجات الإنسان. والإعلام الإسلامي؛ حين يتوسل بهذه الوسائل؛ فإنما يعمد إلى تغيير النظرة إليها، وإلى قيمتها.. إنه يضعها في موضعها الصحيح؛ بحيث يصبح «الروح الإنساني المؤمن هو المسيطر عليها، لا أن تكون هي المسيطرة عليه، وعلى تصوراته ومشاعره وأوضاعه ونظمه» (14).

ذلك أن الإعلام في التصور الإسلامي، يقرّ في «خلد الإنسان قيمته العلوية ومقوماته الكريمة.. يستنقذ الروح الإنساني من المهانة التي فرضها عليه (دارون) و(كارل ماركس) وأشباههم! وعندئذ يشعر الإنسان أنه هو السيد، الذي ينبغي أن يسيطر على الآلة، وعلى الإبداع المادي، والحضاري» (15)

وحينئذ؛ يثبت الإعلام الإسلامي أن «المدخرات الثقافية والروحية يمكن أن تصون الحضارات في الشرق والغرب» على السواء؛ في مسار صحيح يصحح نظرة "توينبي"، و"ماكلوهان"؛ التي تنبع من ثقافة مغايرة؛ وحضارة مغاير أيضاً.

ذلك أن هذه «المدخرات الثقافية والروحية في الشرق، على حد تعبيرهما؛ تستتبع في الإعلام الإسلامي؛ سيطرة الروح الإنساني المؤمن على الوسائل التكنولوجية؛ وليس العكس. وعندئذ يصبح النظام الإعلامي متمتعا بحريته «في إطار عقيدته؛ قادرا على الاختيار. ذلك أن الاختيار هو العنصر الهام الذي يفتقده الروح الإنساني الآن. وهو مجبر مقهور ذليل للآلة، وللتصورات المنبثقة من دورتها الآلية!» [16] والقدرة على الاختيار - تأسيسا على هذا الفهم تتيح للإعلام الإسلامي؛ أن يستبعد العناصر الضارة، وينمي العناصر الصالحة، المتفقة مع «الحاجات الحقيقية للكينونة الإنسانية» كما أن سيطرة الروح الإنساني المؤمن ستتيح له التحرر من الأوضاع المنافية لكرامته؛ ومن طرائق الإنتاج وأنظمة الإعلام الوضعية التي تهدر فيها مقومات الإنسان الكريمة، حين تركز على إثارة الغرائز؛ وتستبيح القيم.

وليست تكنولوجيا الاتصال؛ وأنظمة الإعلام الوضعية؛ إلا مجرد وسائل وأدوات؛ يمكن أن توظف على حساب المقومات الإنسانية؛ ويمكن أن توظف أيضاً من أجل الإنسان ومقوماته الكريمة.

وإذا كان "الفنان الحقيقي" هو الذي يستطيع مواجهة التكنولوجيا في شجاعة؛ على حد قول "ماكلوهان" تأسيساً على أن الفنان خبير مدرك للتغييرات التي تحدث في الإدراك الشعوري، فإن هذا "الفنان الحقيقي" هو العنصر الفعال، الذي يصدر عن تصورات وقيم جديدة منبثقة في الإعلام الإسلامي ونظرته للحياة وما يتبع هذه التصورات والقيم من سيطرة الروح الإنساني المؤمن على تكنولوجيا الاتصال؛ بصفة خاصة؛ وحضارة التكنولوجيا بصفة عامة. مع القدرة على الاختيار التي هي وليدة تلك السيطرة.. ومن حسن

الحظ - كما يقول الأستاذ سيد قطب إن «الفطرة الإنسانية - كما أبدعها الله تعالى - متناسقة مع فطرة الكون. وأن فطرة الكون؛ كفطرة الإنسان، تحتوي على عناصر الحركة والإبداع والنمو والترقي.. ومن ثم ستجد الفطرة أن الكثير من هذه الحضاريات يلبي ويتمشى مع حاجاتها الحقيقية المترقبة. ولن تصطدم إلا بما هو ضار بكينونة الإنسان ذاته. وهذا ما يجب أن يطرد وينفى.. وهذا ما يكفله منهج الله للحياة».. وللإعلام أيضاً حين يصدر عن هذا المنهج «المخلّص الذي يطلبه الغرب ولكنه يأباه»!.

ذلك أن الإعلام - في التصور الإسلامي - يوظف التكنولوجيا الاتصالية في الإبداع المادي؛ ويقود خطاها في الاستشراف الروحي. فالإعلام يرتفع إلى مستوى التصور حين يعي ما حوله؛ وحين يعرف أساليب عصره؛ وحين يوظف تقنياته وحين يحيط بثقافة هذا العصر، وحضارته؛ وحين يوظف ذلك كله توظيفاً يقوم على أساس من الاختبار والاختيار. ذلك أننا «لا نملك الحكم على ما ينبغي أن نأخذ منها وما ينبغي أن ندع، إلا إذا سيطرنا عليها بالمعرفة والخبرة. فمن المعرفة والخبرة نستمد سلطان الاختيار.. ونرتفع إلى مستواه في إدراكنا لطبيعة الحياة البشرية وحاجاتها الحقيقية المتجددة، فنرفض ما نرفض من هذه الحضارة، ونستبقي ما نستبقي عن خبرة بالحياة ذاتها تعادل خبراتنا بهذه الحضارة كذلك» (17).

*** ثالثاً: أن توظيف مستحدثات العلم وتطبيقاته من أجل أداء وظائف الإعلام أمر يخدم ويفيد، ويعمم، من أجل إعلام فعّال؛ في التصوّر الإسلامي:**

ذلك أن الإنسان المعاصر يزداد اعتماده على وسائل الإعلام من أجل الحصول على المعلومات والإرشادات ولكنه يقول إن الدرجة العالية من الاتفاق، الموجود من قبل في المجتمع، تعطي لوسائل الإعلام الكثير من تأثيرها الظاهري، ويذهب إلى أن وسائل الإعلام تعمل في مواقف معدة لها من قبل في العملية الاجتماعية.

وصفوة القول إن تكنولوجيا الإعلام في المجتمع الحديث - بتعبير دقيق لواحد من علماء الإعلام - ينبغي ألا ينظر إلى قوتها كموجة عالية، وإنما «كنهر عظيم يغذي الأرض التي يلمسها متّبعاً خطوط التضاريس الحالية، ولكنه يمهد الطريق للتغيير على مدى طويل... وقد يجد أحياناً بقعة تكون فيها الأرض رخوة ومهيأة، وهناك يشق مجرى جديداً، وأحيانا يكتسح أمامه جزءاً من الأرض، مما يعطي مجرى النهر شكلاً جديداً».

ولقد تبنى عدد كبير من الدراسات الخاصة بالسلوك الاتصالي الافتراض الأساسي، وهو أن أكثر طرق الاتصال البشري نجاحاً تبدأ بالرسالة Message ولذلك تعتبر أسس استرجاع المعلومات تعبيراً عن حاجة الإنسان الأساسية إلى الاتصال، أو على حدّ تعبير "ألن كنت": حاجة الكاتب إلى الاتصال بمعاصريه والأجيال التي تليه، وحاجة القارئ إلى الاتصال بالمفكرين ومسجلي الحقائق، ويضيف: أن الاتصال هو التحقق من معنى وثيقة ما، حيث يتحدّد ذلك بواسطة محللي الوثائق ومحللي الأسئلة، في محاولة لإقامة علاقة اتصال بين الوثائق والقراء وعلى ضوء هذا الافتراض؛ فإن توظيف التكنولوجيا (التقنية الاتصالية) من أجل إعلام إسلامي فعال يقتضي التمييز بين ثلاثة مستويات للاتصال:

1- الوضوح Intelligibility (التعرف على الرموز الصوتية وغيرها من الأشكال اللغوية التي تشكل رسالة ما).

2- الإعلام Information (التحقق من معنى رسالة ما).

3- النتائج Effects (السلوك غير الاتصالي الناتج عن رسالة ما).

وتأسيسا على أن الإعلام في «عملية الاتصال يستهدف إحداث تجارب مع الشخص المتصل به. وبعبارة أخرى يحاول أن يشاركه في استيعاب المعلومات أو في نقل فكرة أو اتجاه». فإننا نحاول هنا النظر في خصائص اللغة العربية من حيث وفائها لوظائف الإعلام؛ ومن حيث قدراتها الاتصالية بالجماهير.

فاللغة ـ كما يقول أوتو جسبرسن ـ ليست في حقيقتها سوى «نشاط إنساني يتمثّل من جانب مجهود عضلي يقوم به فرد من الأفراد، ومن جانب آخر في عملية إدراكية ينفعل بها فرد أو أفراد آخرون».. ولذلك تعتمد الصلات البشرية بصفة أساسية على استخدام اللغة، فهي نظام رمزي ابتدعه الإنسان ليتبادل مع الآخرين المعلومات والأفكار والمشاعر البيولوجية، فالأصوات «المبهمة التي يصدرها الطفل في مرحلة الطفولة قد تحقق له السعادة وقد تخدم الوظائف البيولوجية، وذلك بتمرين الجهاز الصوتي. ولكن هذه الأصوات لا تحقق عملية الاتصال الاجتماعي ومن ثم فهي لا تسمى لغة».

والدعوة إلى اللغة المشتركة ـ في نهاية الأمر ـ تتفق وطبيعة التطور الإعلامي، فالضوء الكهربي والقوة الكهربية ـ كما يقول "ماكلوهان" ـ يلغيان عنصري الزمان والمكان في المجتمع الإنساني، تماماً كما يفعل الراديو والتليفزيون، ويفرضان "مشاركة" في العمق، هذه المشاركة التي ينشدها الإعلام في الوطن العربي لن تتحقق إلا باستخدام "الفصحى المشتركة" التي تعمل على تقارب المجتمعات.

كما أن اصطناع وسائل الإعلام للغة الفصحى لتكون عروة وثقى بين الأقطار العربية كلها. يجعل التطور أمراً محتوماً واضح الغاية. وعلى هذا الأساس سنجد تقارباً تحدثه وسائل الإعلام بالفعل، كما يذهب إلى ذلك الدكتور "يونس" بين اللهجات التي نسميها بالعامية تجاوزاً وبين اللهجة الفصحى، وتصبح بذلك اللهجة الفصحى أكثر مرونة مما كانت، وتتخلص من كثير من الظواهر التي لصقت بها عن طريق التدوين، وعن طريق التقعيد.

ووسائل الإعلام تعمل عن وعي على التقريب بين البلاد العربية والإسلامية وذلك بتقويم الألسنة الفصيحة، وجعلها مسايرة للحياة، وتمضي وسائل الإعلام بالفصحى المشتركة لتحقيق شخصية الفرد العربي، ولتحقيق شخصية الجماعة العربية، مع الإبقاء على الخطوط البارزة للنحو العربي.

وهكذا يمكن القول إن الإعلام يتوسل بلغة الحضارة من أجل توثيق الوجدان الإنساني، وإظهاره ليس فقط في مجال إسلامي عربي محدد بلغة فصحى مشتركة، ولكنه يعين على التمكين لهذا الوجدان وتدعيمه أيضاً. فالإعلام حين يفيد في توظيف تكنولوجيا الاتصال من علاقات كثيرة في المجال الاجتماعي، يؤثر في نفس الوقت في الكيان الاجتماعي عن طريق اللغة.

***رابعاً: إن العودة إلى تطبيق التصور الإسلامي للإعلام تصحح مجموعة من المفاهيم في الحضارة الإنسانية المعاصرة نفسها، من خلال الاحتفال بالعقل، والسموّ بالغرائز.**

ولقد حظيت نظم الإعلام في المجتمعات المختلفة بالدراسة العلمية الدقيقة التي توضح علاقة الإعلام بالبيئة الفكرية والقوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فظهرت بحوث شتى حول الإعلام في النظام الفاشيستي والنظام النازي، وكذلك في النظم المعاصرة في الغرب وفي الشرق على حد سواء.

وفي هذه الدراسات نجد أن دراسة الإعلام تعنى ببحث علاقة الفرد بالمجتمع، بالدولة، ومفهوم المعرفة، وطرق الوصول إليها وأنظمة إصدار الصحف والمطبوعات والرقابة وغيرها.

وعلى الرغم من كثرة هذه الدراسات في مختلف دول العالم، إلا أن علماء الإعلام يقرون جميعاً بقصور النظم الإعلامية المختلفة عن الوفاء بنظام أمثل للإعلام على المستويات القومية والدولية. ولم يفطن هؤلاء - ولا لوم عليهم - إلى ما يتضمنه نظام الإعلام الإسلامي من حلول لأكثر المشكلات تعقيداً في أحدث النظم الإعلامية المعاصرة، بل أن هذا الميدان في الدراسات العربية المعاصرة لا يزال بكراً لم يظفر باهتمام من الباحثين لدراسة نظم الاتصال والدعوة والإعلام، مع أن المجتمع الإسلامي قد قام أساسا على فكر جديد، وتشريعات مستحدثة لم يعرفها العالم من قبل، ونظرة رائدة إلى الإنسان، ومفهوم متطور للغاية للمجتمع والدعوة ووسائلها.

المعاصرة لا يزال بكرا لم يظفر باهتمام من الباحثين لدراسة نظم الاتصال والدعوة والإعلام، مع أن المجتمع الإسلامي قد قام أساسا على فكر جديد، وتشريعات مستحدثة لم يعرفها العالم من قبل، ونظرة رائدة إلى الإنسان، ومفهوم متطور للغاية للمجتمع والدعوة ووسائلها.

حقيقة أن هناك بعض الدراسات السريعة عن الدعوة الإسلامية، ولكن معظمها يفتقر إلى التحليل والتكامل والأسلوب العلمي. لذلك فإننا نرى أن هذا الميدان البكر جدير بالدراسة والاهتمام: ونؤمن بأن دراسة الإعلام الإسلامي ستوفر على الصعيدين الإسلامي والدولي حلولا لأعقد المشكلات التي يتصدى لها الإعلام في العالم اليوم، ولذلك طرحنا في البداية عددا من الافتراضات على أمل أن يجيب عنها البحث في فصوله المختلفة، حتى يتسنى لنا فهم النظام الإعلامي في الإسلام:

- ماذا يتوقع الإنسان المعاصر من النظام الإعلامي في الإسلام؟
- ماهي وظائف نظام الإعلام الإسلامي؟
- ما مدى الحرية التي يتمتع بها؟ وماذا نعنيه بالحرية؟
- ماهو رأي المجتمع الإسلامي في طبيعة الإنسان؟
- ماهي نظرة المجتمع الإسلامي إلى العلاقة المثلى بين الإنسان والدولة؟
- ماهي فكرة المجتمع الإسلامي عن الحقيقة؟

والإسلام يجيب عن هذه التساؤلات على النحو الذي يجعلنا قادرين - بعون الله وتوفيقه - على تحديد الصورة العلمية لنظام الإعلام الإسلامي ونظريته في الاتصال بالجماهير، وتوظيف تقنيات الاتصال توظيفاً فعالا.

وإذا كان الاتصال كلمة عامة شاملة، فإننا قد اتخذنا منها إطارا للبحث في هذا الكتاب، ودراسة الإعلام الإسلامي من خلال دراسة الاتصال الطبيعي والشخصي والجمعي والصناعي غير المباشر، والذي تستخدم فيه الوسائل التكنولوجية العصرية كوسائل للاتصال. ذلك أن الاتصال كمفهوم أو مصطلح يشير إلى العلاقة التي تكون بين الناس داخل نسق اجتماعي معين يختلف من

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ﴾ (26).

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ (27).

كما نص القرآن الكريم في آيات كثيرة على الأخلاق التي يجب أن يتميز بها رجل الإعلام بوجه عام، والتي تميز بها الرسول الكريم ﷺ بوجه خاص. ومن هذه الأخلاق: الصبر وحسن المعاملة والجدال بالتي هي أحسن والإعراض عن الجاهلين والمنافقين والبعد عن الغلظة، قال تعالى ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [صدق الله العظيم].

سلبيات الإعلام المعاصر في الأمة الإسلامية:

ومما تقدم جميعاً نحاول فيما يلي استخلاص الإيجابيات والسلبيات التي تكتنف الإعلام الإسلامي في حاضره، ومنها:

أ ـ أنه كان من الضروري التصدي بقوة لإقحام المفاهيم المستوردة على جوهر الإسلام.

ب ـ التصدي للبلبلة التي وقع فيها العالم الإسلامي نتيجة لكثرة الآراء والاتجاهات وإدخال الكثير من الضلالات والمفتريات التي سبقت الإشارة إلى بعضها، مثل الدعوات المنحرفة التي أوجدها الاستعمار والصهيونية، وسخر لها القوة المادية والفنية ودعمها بشتى الوسائل لإيقاع البلبلة في أفكار المسلمين: القاديانية والبهائية بوجه خاص، مع العلم بأن هناك صلات قائمة إلى الآن بين الدعوات المنحرفة وأعداء الإسلام "الاستعمار والصهيونية".

الصهيونية والخطر الدعائي والإعلامي:

والصهيونية من أخطر أعداء الإسلام، بما تفرضه من قهر سياسي وقسر فكري وتمايز عنصري، وفي بروتوكولات صهيون يتضح هذا المعنى تماما، فهي تعتمد على تقويض أركان المجتمع العالمي وبث عناصر للانحلال تعبث في كيانه، وتعمل على إشاعة الفوضى الاجتماعية والفكرية، وسبيلها إلى ذلك

الدعاية المنظمة التي تتوسل بأجهزة الإعلام والاتصال بالجماهير بهدف اغتصاب العقل البشري والسيطرة عليه.

1ـ إثارة الفتن والوقيعة بين شعوب العالم ودوله:

كشف الحاخام عمانوئيل رابينوفتش عن خطة الصهيونية في خطابه بمؤتمر الربانيين بمدينة بودابست سنة 1954م "1373هـ" حيث قال: «هل تذكرون حملاتنا الدعائية الناجحة عام 1930؟ لقد أثارت الحقد على الأمريكيين في ألمانيا والألمانيين في أمريكا وهذا هو ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية. وقد شرعنا شن حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم فأثرنا في روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحدة، وفي نفس الوقت أثرنا في الولايات المتحدة شعورا بالخوف والتوجس إزاء الشيوعيين، وتؤدي هذه الحملات إلى دفع الدول الصغيرة إلى تحديد موقفها إما مع روسيا وإما مع أمريكا».

وهذا تطبيق لما رسمته البروتوكولات صراحة، ففي البروتوكول العاشر: «يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة في العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات، وإشاعة الأعمال العدوانية والأحقاد، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض، لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجا للأرزاء التي تحل بهم سوى الالتجاء إلى أموالنا وإلى سيادتنا المطلقة».

وفي البروتوكول الحادي عشر: «غير اليهود كقطيع من الأغنام، أما نحن فإننا الذئاب، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام إذا اقتحم الذئاب حظيرتها؟ إنها تغمض عينيها، وسندفعهم إلى ذلك».

ويتضح في البروتوكول الخامس عشر كيف يعمل الصهيونيون لتحقيق أهدافهم: «وإذا ما تولينا السلطة بما نكون قد أعددناه من انقلابات تحدث في جميع الدول في وقت واحد ـ بمجرد أن يعلن رسميا عجز حكومات تلك الدول عن حكم الشعب، وقد يمضي على ذلك وقت طويل ربما يبلغ قرنا ـ سنبذل كل جهدنا لمنع المؤامرات ضدنا».

وإعمالا لهذه التعاليم نلاحظ أن اليهود دائما ضالعون مع كل حركة تخريب في العالم، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى يظاهرونها ويذكون أوارها انتقاما من روسيا التي تصدت لليهود وانتقمت منهم.. وقد استغل اليهود تلك الحرب الضروس لفائداتهم المالية بإقراض الدول بالربا الفاحش، وترويج تجارتهم في مواد القتال التي يحتكرونها، والقضاء على شعوب أوروبا وتقويض دولها.

- كما حاول اليهود استغلال الثورة البلشفية في روسيا، وفرضوا وصايتهم عليها لتحقيق مآربهم العنصرية التي فشلوا في تحقيقها في عهد القياصرة.

وقد نجحت العناصر الصهيونية في حكومة البلاشفة في ممالأة اليهود والتستر على ما قد يسيء إليهم ويفضح نواياهم، فلما طبعت البروتوكولات في روسيا سنة 1917 باللغة الفرنسية صودرت هذه الطبعة رسميا، ولم يسمح بطبعها بعد ذلك.

2ـ الإرهاب الفكري وإفساد الرأي العام:

يشرح البروتوكول الخامس كيفية إفساد الرأي العام وبلبلة الأفكار فيقول «ولكي نطمئن إلى الرأي العام يجب أن نربكه تماماً، فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق» ويوصي بـ «مضاعفة الأخطاء التي ترتكب، والعادات والعواطف والقوانين الوضعية في البلاد لدرجة يتعذر معها على الناس التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى، وهكذا يكف الناس عن فهم بعضهم بعضا.. وسوف تساعدنا تلك السياسة على بث الفرقة بين جميع الأحزاب، وعلى حل الجماعات القوية، وعلى تثبيط عزيمة كل عمل فردي يمكن أن يعرقل مشروعاتنا».

وفي البروتوكول السابع «يجب أن نقوم بالتأثير على الحكومات غير اليهودية عن طريق ما يسمونه الرأي العام الذي هيأناه عن طريق أعظم قوة وهي الصحافة، التي فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية التي لا قيمة لها ـ

توجد كلها في قبضتنا..».

وفي البروتوكول الثامن لا يتيسر إسناد المناصب الرئيسية في الحكومة إلى إخواننا اليهود، فإننا سنسند المناصب الهامة إلى أناس من ذوي السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة، أو إلى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم في السجون إذا ما حالوا دون تنفيذ أمرنا».

ولقد بلغ من جرأة اليهود أن استباحوا جلال العلم لإشباع حقدهم ونزواتهم بإفساد العقول والأخلاق، والعبث بالقيم والفضائل الإنسانية، فابتدعوا نظريات علمية تسوغ لهم ما يبيتون من مكر وكيد وما ينفثون من آراء هدامة.. فاليهود وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها المجتمع الإنساني، فاليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان.. واليهودي دركيم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب. واليهودي سارتر وراء الوجودية التي جنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال (28).

وفي البروتوكول الثاني «نحن الذين هيأنا دارون وماركس ونيتشه، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التي تركتها هذه النظريات في أذهان غير اليهود».

3ـ إشاعة الفوضى والفساد في المجتمع:

رسم البروتوكول الأول لليهود كيف يكيدون لسائر شعوب الأرض، ويبذرون الفوضى والانحلال فيقول «إن الشباب لدى المسيحيين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر، كما أن الشباب قد انتابه العته لانغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين، والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهن في الفسق والترف».

وفي البروتوكول التاسع «لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود،

وأفسدنا خلقه بتلقينه المبادئ والنظريات التي نعلم أنها مبادئ ونظريات فاسدة، وعملنا على ترسيخها في ذهنه، ودون أن نعمل على تعديل القوانين القائمة فعلا أمكننا التلاعب بها وتفسيرها التفسير الذي لم يخطر على بال واضعيها للحصول على نتيجة فعالة».

4ـ افتعال الأزمات الاقتصادية:

يفصل البروتوكول الثالث السلاح الاقتصادي الذي يستعين به اليهود على تقويض الحكومات «وسنعمد إلى خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق الملتوية الممكنة بواسطة الذهب الذي يجري بين أيدينا».

وفي البروتوكول الرابع «يجب أن نقيم التجارة على أسس المضاربة، ويكون نتيجة ذلك منع غير اليهود من الاحتفاظ بالثروات التي انتجتها الأرض. وعن طريق المضاربة تدخل تلك الثروات خزائننا».

ويوضح البروتوكول السادس كيف يعمل اليهود على الإضرار بالإنتاج «وسنعمل على تقويض الإنتاج من أساسه عن طريق نشر الفوضى بين العمال وتحريضهم على شرب الخمر، كما أنه لابد من استخدام جميع الوسائل الممكنة لطرد الأذكياء من غير اليهود من وجه البسيطة».

5ـ القضاء على الأديان:

في البروتوكول الرابع عسر «عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا.. من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد. وإذا كانت النتيجة التي وصلنا إليها مؤقتا قد أسفرت عن خلق الملحدين، فإن هدفنا لن يتأثر بذلك.. بل يكون ذلك مثلا للأجيال القادمة التي ستستمع إلى دين موسى، هذا الدين الذي فرض علينا مبدؤه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا».

وفي البروتوكول السابع عسر «لقد عنينا عناية خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود، والحط من قدرهم في نظر الشعب، وأفلحنا كذلك في الإضرار برسالتهم التي تنحصر في تعويق عقيدة معترف بها اليوم في كل

وتطاولت إسرائيل على القرآن الكريم فطبعت في عامي 1380 و1388هـ نسخا مزورة من المصحف الشريف، أسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات وأحيانا سورة بحذافيرها، أو تناولت بعض الألفاظ بالتحريف - تبتغي بذلك تحريف بعض المعاني القرآنية والتشكيك في سلامة كتاب الله - بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد حريصين على تعقب كل ما يصدره أعداء الله من طبعات محرفة من المصحف والحيلولة دون تداولها.

الإعلام الإسلامي:

وحقّ الأتقى والأبر:

وليس من شك في أن سند الإعلام في الحضارة الإسلامية هو «حقّ الأتقى، والأبّر، ذلك أن "علم الإنسان" - كما يقول د/ عبد الرحمن عزام - لا يزال قاصرا عن بيان حقيقة القوى الذهنية وكيفية انفعالها بالمؤثرات. وأن الفوارق العنصرية الظاهرة في أجسام البشر لم ترشد إلى امتياز بينها في خلق الحضارة. وهي «قطعاً لا تجعل لقوم امتيازاً، على قوم في الاختصاص بها»[30].

وقد أظهرنا التاريخ الإنساني على أن الحضارة شعلة متنقلة؛ ولم يكن خروج العرب من شبه الجزيرة وانتشارهم ووصلهم بين حضارات الأقدمين والحضارة الحديثة، وابتكارهم وافتنانهم في العلوم والصنائع؛ لأسباب اقتصادية محلية؛ ولذلك لا تكفي النظرية الاقتصادية، أو الانتروبولوجية؛ في تفسير أسباب ظهور المدنيات أو سقوطها. إذ الأسباب الروحية والمعنوية هي التي ساعدت دائما على الظهور أو الاختفاء [31]، والقرآن الكريم يؤكد هذا المعنى في كثير من آياته؛ فيقول: **﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾** [32].

ويقول:

﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذّبوا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن

مكان، ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية إلا بضع سنوات، وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك، لكن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذه الرسالة.

وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافها، ونجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فاترا إلى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيا».

ومن هنا كان الإسلام بعد المسيحية المجال الرئيسي الذي كرست له الصهيونية نشاطها للنيل منهما بدأب حثيث، وكانت محاربتهما هدفا لليهود منذ أزمان سحيقة، ففي التلمود: «حيث إن المسيح كذاب، وحيث إن محمدا اعترف به، والمعترف بالكذاب كذاب مثله، فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الأول» (29).

وقد جاهر حاخام إسرائيل في الحفل الذي أقيم لوضع الحجر الأساسي للمحفل الماسوني في تل أبيب سنة 1377 هـ بقوله: «إننا نعمل جميعا لهدف واحد هو العودة بكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض، وما عدا ذلك فهي أديان باطلة.. أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد، وبين أي شعب وشعب، ونتيجة لمجهوداتكم سيأتي يوم يتحطم فيه الدين المسيحي والدين الإسلامي، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة، ويصل جميع البشر لنور الحق».

وينبغي ألا ننسى أن الحاخام يوجه خطابه ويوعز بتحريضه إلى أعضاء المحفل الماسوني الذي تزعم تقاليده أنه بنجوة من التعصب الديني، وأنه يتحلى بالحياد تجاه العقائد.

محاربة الصهيونية للإسلام:

حرصت دولة إسرائيل على محاربة الدين الإسلامي في نطاقها المحلي، تطبيقاً للمبادئ التي نص عليها البروتوكولا السابقان، فعمدت إلى إجبار التلاميذ المسلمين على دراسة اللغة العبرية والديانة اليهودية وحفظ التوراة، ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم ودراسة التاريخ الإسلامي.

الله قويّ شديد العقاب. ذلك بأن الله لم يك مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾ (33).

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما **استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾** (34).

والإعلام الإسلامي يقوم على أساس من العقيدة الصالحة؛ والمنهج القويم؛ في دفع الأمم بقدر ما في العقيدة والمنهج من قوة واستقامة.

وإذا أسمينا العقيدة؛ والمنهج؛ في الإعلام الإسلامي بالقوة المعنوية؛ فإن هذه القوة الدافعة تسوق وسائل الإعلام إلى الأمام، في مواجهة التحديات التي تستهدف هذه القوة المعنوية ذاتها من خلال إثارة الغرائز لكي تتغلب شهوات الأبدان؛ على سمو الأرواح. تلك هي النقطة الفاصلة بين الإعلام الإسلامي؛ وبين الإعلام في النظم الوضعية. وهي نقطة فاصلة أيضاً بين التقدم والتأخر.

والغزو الإعلامي المعاصر يوظف التكنولوجيات لاضعاف الأجيال الجديدة في أمتنا الإسلامية حتى لا تقدر على حمل الحضارة التي أنشأها الآباء بدافع معنوي؛ فتخور، وتفقد إيمانها بنفسها وتهوي إلى الأرض مسلوبة الروح ضحية الهوى والضلال. لقد كان «الآباء في نهضتهم شهداء الحق والمروءة والعزة، يحبون الموت كما أحب أخلافهم الحياة، فعاش الأولون مشكورين وماتوا مذكورين. أما هؤلاء فماتوا مدحورين وعاشوا مغمورين منسيين» (35).

فلا شك أن العقيدة الصالحة؛ التي يدعمها الإعلام الإسلامي؛ هي القوة الأولى لبناء المدنية؛ ولاشك أيضاً أن الإعلام القائم على صورة من العقائد الصالحة للعمران يسير في ركابه عرف صالح ومنهج قويم يستمد سطوته من العقيدة والإيمان فهو القوة المنظمة والمخرجة للدور الحاسم في الحضارة.

يقول الأستاذ عزام:

«وإنه ليحزننا أن يكون ما نرى في الدنيا نذيراً بأمر الله! فلا الأمم المتأخرة من المسلمين ولا المتقدمة من المسيحيين واليهود، على شيء من

التقوى، تذبذبت العقائد، وذهب العرف وساء حب الدنيا، وعم الترف. فهل جاء وعد الله؟ إننا لنرجو أن يتدارك الله هذا العمران بقوم خماص البطون يحبون الحق كما يحبّ المتحضرون المال والمتاع، ويرثون هذه الحضارة فيضيفون للعلم والعمران، ويردون إلى الدنيا ذلك العقل الضائع والإيمان القوي.

وسيجد هؤلاء في الدعوة المحمدية كما وجد الأولون الروح والعقل والتقوى. نعم يجدون الهدى ذلك الذي هزئت به قريش وقالت: **﴿إن نتّبع الهدى معك نتخطّف من أرضنا﴾** فلما اتبعوه خطفوا من أرضهم لا للهوان، ولكن لسيادة الدنيا [36].

الإعلام الإنساني والإعلام الدولي:

نواصل في هذا الفصل دراسة الإعلام الإسلامي في مسيرته المستقبلية، فنلاحظ ابتداءً أن الإعلام الإسلامي قد أرسى دعائم تتفوق على ما يعرف اليوم بالإعلام الدولي. ذلك أن الإسلام قد أرسل للناس كافة، وأكد على الاتصال والتفاهم بين الأمم والشعوب فقال الله جل شأنه في كتابه الكريم **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾** [37].

فالإعلام الإسلامي أشمل من مفهوم الإعلام الدولي بالمصطلح الحديث، ذلك أن القرآن يؤكد أن الإنسانية كلها أمة واحدة.

ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم **﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** [38].

الإعلام الإسلامي والإعلام الدولي:

ومن ذلك يتضح ما نعنيه بشمولية الإعلام الإسلامي في المصطلح الحديث، ذلك أن القرآن الكريم الذي تنبع منه نظرية الإعلام الإسلامي يؤكد على وحدة الإنسانية. يقول الله تعالى **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾** (39).

فالإعلام الإسلامي يقوم على أساس من صلة الرحم بين بني الإنسان، وعلى أساس من التعارف والمودة وإقرار السلام. ولذلك فإن الأصل في الإعلام الإسلامي هو الود والتراحم لا العداوة القاطعة، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين. فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم﴾ [البقرة] (40).

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن القول إن الإعلام الإسلامي يتجاوز مصطلح "الإعلام الدولي" إلى أن يكون هو "الإعلام الإنساني" الأشمل الذي يدعو إلى دين الوحدانية والوحدة الإنسانية في آن معا، وإن اختلف الناس أجناسا وقبائل. قال جل شأنه في القرآن الكريم:

﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ (41).

ونظرية الإعلام الإسلامي الإنسانية، التي تتجاوز مصطلح الإعلام الدولي المعاصر، تقوم على أساس المساواة كما جاء في قول الله تعالى:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾(42).

فالمساواة هي أساس الإعلام الإنساني في الإسلام، كما أن التعارف يقتضي من وسائل الإعلام إشاعة المودة والتعاون في كل أنحاء العالم.

والعدالة أساس العلاقات الإنسانية في الإعلام الإنساني، يقول الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ [النساء] (43).

ودستور الإعلام الإسلامي في العلاقة الإنسانية العامة، قول الله سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ (44).

وقول جل شأنه: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾** (45).

الإعلام الإسلامي والرأي العام العالمي:

وليس من قبيل التعصب أن نذهب إلى أن الإعلام الإسلامي قد وضع الحلول الناجعة لكل المشكلات التي يعاني منها اليوم الإعلام الدولي بالمصطلح الحديث International Communication. والذي يسعى إلى تكوين الرأي العام العالمي، في حين أن الإعلام الإسلامي يسعى إلى تكوين الرأي العام الإنساني في إطار من الوحدة الإنسانية، وعلى أسس من العدالة والتعاون والتواد والسلام.

وهنا تتضح الفروق بين ما نعنيه بمصطلح "الإعلام الإنساني" في الإسلام، ومصطلح الإعلام الدولي المعاصر. ذلك أن الأخير يعاني من الاحتكاك والصراع الدولي، وفي كثير من الأحيان يصبح من أهم عوامل هذا الصراع الذي قد يؤدي إلى الحروب والدمار. لأن الإعلام الدولي المعاصر يسعى إلى السيطرة على العقل البشري من خلال عملية الاتصال التطويعية Persuasive Communication وغيرها من العمليات الاتصالية. فالإعلام الدولي تعبير عن طبيعة

العلاقات الدولية المعاصرة والتي يغلب عليها طابع الحرب النفسية وتحطيم الروح المعنوية لدى الشعوب الأخرى، على نحو ما نعرف اليوم من دلالات المصطلحات التي شاعت في عصرنا كالحرب الباردة والحروب الأيديولوجية وحرب الأعصاب والحرب السياسية وحرب القوة الفكرية وما إلى ذلك، مما يكشف في مجموعه عن عدم موضوعية ما يطلق عليه تجاوزا بالإعلام الدولي، واستهدافه التأثير على آراء وسلوك وعواطف جماعات أو دول أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة، وذلك من أجل متابعة سياسة الدولة ومصالحها.

وعلى هذا الفهم يمكننا أن نتعرف على الحلول الشاملة والجذرية التي يقدمها الإعلام الإنساني في الإسلام لمشكلات الإعلام الدولي، والتي تظهر من خلال المؤتمرات الدولية للصحفيين في شيكاغو وبلجيكا عام 1893، والتي لم تحقق شيئا يذكر غير بعض التوصيات التي محتها الدعاية والرقابة خلال الحربيين العالميتين [46] ويمكن أن نجد هذا الصدى كذلك في اهتمام عصبة الأمم بمشكلات الإعلام الدولي من خلال المؤتمرات التي عقدت تحت رعايتها عام 1927 في جنيف وعام 1932 في كوبنهاجن وعام 1933 في مدريد. وكانت أهداف مؤتمر خبراء الصحافة الذي عقد في جنيف مايلي:

* **أولا:** البحث في الوسائل التي تكفل الانتقال السريع للأنباء الصحفية بأقل النفقات، مع نظرة إلى تقليل مخاطر سوء التفاهم الدولي.

* **ثانيا:** مناقشة جميع المشاكل الفنية التي يرى الخبراء أنها معالجة تؤدي إلى تهدئة الرأي العام في الدول المختلفة. وقد ظهرت رغبة عصبة الأمم في القضاء على انتشار المعلومات الكاذبة عن الدول في مؤتمر مكاتب الصحافة الحكومية الذي عقد عام 1932. وقد أصر المجتمعون على ألا تكون الإجراءات التي تتخذ لتحقيق هذا الأمر ماسة بالحريات الأساسية للصحافة. وقد نوقشت هذه المشكلة ذاتها في مؤتمر مكاتب الصحافة الحكومية الذي عقد عام 1933 ولكن شيئا محدداً لم ينبثق عن هذه المؤتمرات [47].

الإعلام الإنساني في الإسلام:

والإعلام الإنساني في الإسلام إعلام إيجابي يصل بين الإنسان وخالقه، ويوضح حقائق الهداية، ويوجه الإنسان إلى البناء من أجل الدنيا والآخرة.

ويقوم الإعلام الإسلامي على أساس من الخير الشامل الذي لم يستطع مذهب من المذاهب الأخلاقية الإعلامية أن يكفله مبرأ من الإنسانية، أو الاستجابة لنوازع الأهواء الدعائية سياسيا أو دينيا. ذلك أن الإعلام الإسلامي ينهل من الأخلاق المثلى التي وضعها الإسلام لتحقق الخير المحض للإنسان في كل زمان ومكان. كما تمتاز نظرية الإعلام الإسلامي بأنها نظرية صالحة لكل الشعوب في كل زمان ومكان، لا إرهاق فيها ولا إعنات.

يقول الله تعالى: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** (48). ويقول جل شأنه **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾** (49).

ويقول تبارك وتعالى: **﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾** (50).

هذه الصلاحية وهذا اليسر محققان في الإعلام الإسلامي، على حين أن مذهب السلطة الإعلامية أو مذهب الحرية أو المسؤولية الاجتماعية في الإعلام هي مذاهب ضيقة المجال في بنيانها وزمانها. ولكن الإسلام يصلح لكل المجتمعات لأنه دين المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، وفي الثواب والعقاب، وفي الحسنات والسيئات، الأمر الذي يجعل الإعلام الإسلامي مستهدفا الحض على الأخلاق الكريمة، والفضائل العليا التي تصلح للأفراد والمجتمعات في كل مكان وزمان.

هذه الصورة المثلى التي ينشدها علماء الإعلام لا تتحقق إلا في نظرية الإعلام الإسلامي، ذلك أن النظريات الإعلامية الوضعية في عالم اليوم إنما هي خضم عجيب.. الأخلاقيات أصبحت تحكمها المصالح، والوطنية أناشيد رنانة يطرب لها الناس، والمصالح المشتركة شباك تطلق من الجانبين يصطاد بها كل

جانب ما وسعه أن يصطاد على حساب الطرف الآخر، والوفاق الدولي شبكة كبيرة تقع تحت طائلتها مصالح الدول والدويلات المسكينة التي يسمح لها بالعيش في إطار حماية العملاق أو العملاقين من أصحاب الشبكة التي تم صنعها بالوفاق، كذلك حماية المصالح.

المصادر والمراجع

- 1 د/ أحمد فؤاد باشا: دراسات إسلامية في الفكر العلمي، ص: 92؛ د/ عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية ص: 317.
2. نفس المرجع ص: 93، مصطفى طيبة: الثورة العلمية والتكنولوجية والعالم العربي، القاهرة 83.
3. شلتوت ص: 51.
4. سيد قطب: المستقبل لهذا الدين، ص: 66.
5. نفس المرجع، ص: 98.
6. سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته.
7. سورة البقرة - الآية: 33-30.
8. سورة الأنعام - الآية: 165.
9. سورة الحديد - الآية: 7.
10. سورة ص - الآية: 26.
11. سورة القلم - الآية: 2-1.
12. سورة الزمر - الآية: 9.
13. سيد قطب: هذا الدين، ص: 74-70.
14. سيد قطب: المستقبل لهذا الدين، ص: 106.
15. نفس المرجع، ص: 107.
16. نفس المرجع السابق، ص: 107.
17. نفس المرجع السابق، ص: 118
18. سورة الأنعام - الآية: 124.
19. سورة النور - الآية: 54.
20. سورة النحل - الآية: 35.
21. سورة النساء - الآية: 58.

22ـ سورة النحل ـ الآية: 125.
23ـ سورة الشورى ـ الآية: 15-14.
24ـ سورة آل عمران ـ الآية: 20.
25ـ سورة آل عمران ـ الآية: 104-103.
26ـ سورة الشورى ـ الآية: 48.
27ـ سورة سبأ ـ الآية: 28.
28ـ العقاد : الصهيونية العالمية.
29ـ د/ محمد الزعبي: "دفائن النفسية اليهودية"، ص: 128، د/عبد الباسط محمد حسن: السابق.
30ـ عبد الرحمن عزام: الرسالة الخالدة، ص: 216.
31ـ المرجع السابق، 231.
32ـ سورة الرعد ـ الآية: 11.
33ـ سورة الأنفال ـ الآية: 53
34ـ سورة النور ـ الآية: 55.
35ـ عبد الرحمن عزام: الرسالة الخالدة، ص: 243.
36ـ عبد الرحمن عزام: المرجع السابق، ص: 244.
37ـ سورة الحجرات ـ الآية: 13.
38ـ سورة البقرة ـ الآية: 213.
39ـ سورة النساء ـ الآية: 1.
40ـ سورة البقرة ـ الآية: 209-208.
41ـ سورة الروم ـ الآية: 22.
42ـ سورة الحجرات ـ الآية: 13.
43ـ سورة النساء ـ الآية: 135.
44ـ سورة المائدة ـ الآية: 8.
45ـ سورة النحل ـ الآية: 90.
William Read, "50 Years of Resolutions from State for U.N. Talks 46-"; Editor and Publisher, V. 80, N. 16, April 12, 1947, P. 17.
47ـ د/ أحمد بدر: الإعلام الدولي، ص: 133.
48ـ سورة البقرة ـ الآية: 185.
49ـ سورة البقرة ـ الآية: 286.
50ـ سورة الأنعام ـ الآية: 152.